

الإربعاء 31-03-2010

943-توقف تعسفي، وطلب مشورة!



## دراسة في علم السيكوباتولوجي في فقه العلاقات البشرية

لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسي  
شرح على الممتن : ديوان اغوار النفس

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى متخيلة بشكل روائي شعري مطلق، ولا هي تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحي الفروض العلمية العملية التي استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

**توقف تعسفي، وطلب مشورة!**

**دراكيولا (4)**

**مقدمة:**

بدا لي وأنا أهم بكتابة هذه الحلقة الأخيرة في مسلسل دراكيولا أن هذه الحالة، اعني القصيدة أعني اللوحة، قد أخذت أكثر مما تستحق، لكنني حين راجعت الحلقات الثلاث السابقة وجدت أنها كصورة تشكيلية، لم اتناول فقراتها فقرة فقرة أدخل منها إلى ما تيسر مما أريد.

كثرة الاستطرادات والتنظير قد أحاطت بالشعر حتى أغرقته في لجة من الألفاظ الجافة فبدا عاريا من جماله برغم أن القصيدة مكتملة قد نشرت أكثر من مرة على مدار الحلقات السابقة.

ثم إنني لا أعرف ماذا وصل من نتيجة العملية الجراحية التي أجريتها مضطرا على المتن، وقد بدت لي مثل عملية فصل الألوان التي هي خطوة ضرورية لنشر صورة ملونة، إلا أن المتلقي للصورة لا يرى إلا نتيجتها كاملة، أما إذا رأى العملية (عملية فصل الألوان) ذاتها، ورأى كل لون منفصل وحده، فإنها تصبح صورة بشعة، أرجو ألا تكون قد وصلت الحال بنا -معي هذه العملية الجراحية- إلى هذا الوضع

لكل هذا قررت أن تكون هذه الحلقة هي مجرد إعلان بإجهاض ما كان يمكن أن يتداعى لو أنى حاولت مع هذا التشكيل المتداخل أن أقدم شرحا على المتن مثل كل تشكيل سابق: فقرة فقرة.

ومن ثم سوف أقتصر في هذه الحلقة الأخيرة على تقديم موجز للخطوط العريضة التي سبق تقديمها في الحلقات السابقة حتى أنهى الحديث عن هذه اللوحة مؤقتا، باختزال تعسفى (ربما)

الأرجح أنى حين أنتقل إلى مرحلة الجمع الكلى والتحرير الشامل حلقات هذا العمل مجتمعة، سوف يمكنى من تحرير هذه الحلقات بشكل آخر، وأيضا قد أتمكن من تقديم الكتاب كله بشكل آخر، وربما يخرج من جزأين، أو قسمين: الكتاب الأول هو التشريح الموضوعى كما ظهر حتى الآن وأنا أقدم قصيدة بقصيدة، وكل قصيدة (فيما عدا هذه الأخيرة) فقرة فقرة،

الكتاب الثانى: ربما يكون بمثابة تقديم تصنيف لأنواع العلاقات البشرية، خاصة المسماة الحب، وهو يقتطف من كل قصيدة ما تيسر مما يعيد التريبط والتحرير بشكل آخر

### ربما .

الاختصار الختامى، الذى يحمل قدرا من الاختزال التعسفى، وأيضا قدرا من التكرار الممل غالبا، أقدمه فى السطور التالية :

• إن الحب النابع من عدم الأمان، وهو الأكثر شيوعا فى الحب الثنائى لعامة الناس، يكاد يشترط إلغاء الآخرين، وقد يظهر ذلك جليا فى شعر قدم مثل:

" يالتي وأنت يا لميس فى بلدة ليس بها أنيس" ،  
أو:

ألا ليتنا يا عز كنا لذي غنى بعيرين نرعى فى الحلاء ونعزُب.

كلانا به عرف من يرنا يقل على حسنها جرباءُ تعدي وأجرُب  
• إن هذا الحب الملتهم النابع من عدم الأمان، مهما اشتعل بين اثنين لهيبا حارا لفترة ما، فهو إنما يعقد صفقة الموت معاً، إذ يغذى موت كل طرف موت الطرف الآخر

• إن وعيا داخل هذا الحب يحاول أن يحول دون هذه النهاية، وكأنه يعرف قصر عمره الافتراضى، وكأنه يريد أن ينتحر، أو ينحره محبُه، أملا فى أن تتفجر منهما ينبوع طاقة الحياة الحقيقية الممتدة إلى حب الناس

• إن هذه العلاقة مهما تماسك طرفاها فيما بينهما بتواطؤ جبان، لا يمكن أن تنتصر مع استمرار حركية النمو فتنتج فى أن تلغى نبض الحياة بداخل طرفيها، أو إلى الناس.

• إن النصر فى النهاية هو للحياة، ضد الموت العدمى بتدعيم "القدرة على الحب" على حساب "الانغلاق فى الغرام الثنائى" المستبعد لغير صاحبيه حصريا.

• إن التواصل بين اثنين يحتاج، ليصبح أرقى بشريا، أن يمتد إلى ثالثٍ ورابع، وكل الناس، الأمر الذي لا يتحقق إلى مجردية متجددة ممتدة، يدعمها وعي جماعي ضام، تحت مظلة وعي أعلى فأعلى، وأشمل فأشمل، فأوسع وأوسع، بلا نهاية

### وبعد

فإنه يمكن لأى صديق أن يرجع إلى الحلقات الثلاثة السابقة، وإلى كل القصيدة، ويختار منها المقتطفات التي تدعم كل نقطة من النقاط السابقة، وذلك إلى أن نعود إليها في تحرير جامع في النسخة الورقية، أو من منطلق آخر ضمن إعادة تحرير شامل في جولة أخرى

### ذكر ما تبقى:

لم يبق في هذا الفصل الثاني إلا لوحتان بهما من الخصوصية، والسيرة الذاتية، ما سبق أن نشرته -غالبا- في أعمال أخرى مثل الرحلات، وخاصة الجزء الثالث، وأخشى أن أفرض على الأصدقاء ما هو شديد الخصوصية هكذا، مما قد يجدونه في مكان آخر، لهدف آخر غير "فقه العلاقات البشرية"، فتجربتي الذاتية لا تمثل بأية درجة خاصة ما هو فقه العلاقات البشرية، فما أنا إلا فرد من المليارات البشرية الموجودة عرضا، ومن ملايين المليارات من الأحياء التي وجدت طولاً.

القصيدة التالية "ياترى" هي استلهام من أقرب الناس إلى

أما القصيدة الأخيرة، بعنوان "المعلم" فهي "مازق وجودي الشخصي" وهو الذي يكمن وراء كل هذا، وبالذات انطلاقاً من موقفى، أو موقعى، بين كل هؤلاء الأصدقاء الحقيقيين أو المتخيلين.

تكتمل هذه القصيدة الأخيرة، بالقصيدتين اللتين يشملهما الفصل الثالث الذي كان اسمه في المتن المنشور سابقاً "العبة الحياة"، وكلاهما يعبران عن ما هو، أو ما يوازى السيرة الذاتية، وبالتالي يكملان قصيدة المعلم.

من كل هذا شعرت أن كل ما سيأتى بعد ذلك به جرعة من الذاتية قد لا تكون مناسبة مع كل التعميم الذي عايشناه قبل ذلك، وربطناه بشكل ما، ولو بتبرير مفتعل بالعلاج النفسى، الذى هو ليس إلا "تسخير العلاقات البشرية المهنية الإيجابية"، لإعادة تشكيل النص البشرى، من خلال فهم وتوجيه حوار وجدل البشر مع بعضهم البعض، حين يتصدى إنسان محب مسئول للأخذ بيد إنسان يعيش المعاناة، أو يتوقف بالإعاقه، أو يتشوه بسوء التناول.

لم أتحذ قراراً بعد

وقد آخذ فرصة توقف مؤقت لالتقاط الأنفاس منتظراً رأى الأصدقاء:

هل أتوكل على الله وأكمل مهما بلغت الجرعة الخاصة أو  
غلبت السيرة الذاتية، خشية ألا يكتمل العمل أبدا -  
كالعادة- إذا أنا توقفت؟

أم أتوقف لفترة تطول أم تقصر حتى يطلع الأصدقاء على أصل  
المتن في هذه اللوحات الأربعة (يا "تري"، "المعلم"، "جمل"  
المحمل"، "الخلاص"؟؟؟)

ما رأيكم دام فضلكم ؟؟

وإلى الأسبوع القادم

يجلها حلل